صناعةُ الدّواءِ في الحضارةِ الإسلاميّةِ
(الترياقُ نموذجًا)

د. محمد فؤاد الذاكري(*)

من أقدم الأساطير التي تُظهر الاهتمامَ البشري بالبحث عن وسيلة للخلود، وطلب المعرفة التي تؤدي إلى الهروب من القدر المشترك للإنسان، ألا وهو الموت الذي يلاحقه في كلِّ لحظة من لحظات عمره ـ تصادفنا أسطورة (جلجامش) البطل، ملك مدينة أوروك بأرض الرافدين. فالبطل (جلجامش) يمثل النموذجَ الأكثر واقعية لمعضلة الإنسان الفرد في سعيه نحو الحياة، ممّا أدى بصاحبه إلى الفشل في نهاية المطاف، وانتهت حياتُه نهايةً مأسأوية؛ فهو لم يستطع الحصول على نبات الحياة ليضمنَ الخلود الأبدي. هذه الأسطورة ترمز لسعي الأقدمين في البحث عن أشياء صعبة المنال في سبيل الحصول على إكسير الحياة، ذلك الإكسير الذي كانوا يتفانون في البحث عن تركيبه بُغْيةَ إطالة العمر وإعادةِ الشباب ومَدّ أمد الحياة. ومن خلال التجارب القائمة على مَزْجِ الأدوية والعقاقير الطبيّة وغيرِ الطبيّة ابتكروا نوعًا من الإكسير سموه (الترياق) لمعالجة السموم بأنواعها، وكان هناك دافعٌ آخر يدفع القدماء في البحث عن دواء مضاد للسموم التي قد يتعرضون لها بسبب سوء الحظ أو العداوة، وكان للطغاة أسبابُهم الخاصة ليخافوا السموم؛ ولذا كانوا يدأبون جاهدين في البحث عن ترياقات[١].

ومن أقدم الرسائل التي تناولت السموم الرسائل الطبية تلك التي كتبها أبو للودورس الإسكندري في أوائل القرن الثالث الميلادي في العصر البطلميوسي الأول، وتتناول إحداها الحيوانات السامة، والأخرى العقاقير الضارة أو المميتة، وهي رسائل مفقودة ولكنها كانت المصدر الرئيسي للشاعر نيكاندروس القولوفوني في آسيا الصغرى الذي عاش في أواسط القرن الثالث الميلادي، من قصائد حماسية وغزلية، ولكنَّ أغلبها كان تعليميًّا في تربية الماشية والنحل، أو يحوي إنذارات عن العلاج (مقتبسًا عن أبقراط) وعن الثعابين... وهكذا. ولكنَّ أهمَّ قصائده هما الاثنتان الوحيدتان

(*) أستاذ بجامعة حلب.

(١) انظر: جورج سارتون: تاريخ العلم ،ترجمة: إبراهيم بيومي مدكور ورفاقه. مصر: دار المعارف، ١٩٧٠. ج٤/ ٢٥٠.

الموجودتان كاملتين، وهما عن "الترياقات ضد الحيوانات السامة"، و"العقاقير المضادة للسموم". والرسالتان - كما يذكر المؤرخ جورج سارتون - مستمدتان من أبو للودوروس. وبالإضافة إلى الحيوانات المذكورة هناك (١٢٥) نباتًا مذكورة في القصيدتين، بالإضافة إلى (٢١) سُمًّا مذكورة في القصيدة الثانية. وهذه الرسائل كما أنها كانت تحوي قدرًا ما من المعلومات الطبية للأطباء وحدهم، فإنها - أيضًا - لكلِ شخص متعلم[١].

ويشرح العالم العربي حنين بن إسحق (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م) السببَ الذي دعا القدماءَ إلى عمل الترياق وتركيبه، وهو: "لما رأوا المضار الشديدة التي تعرض للأبدان من شرب السموم القاتلة، وما تضمّنها من لسع الهوام ذوات السموم... ورأوا عامة من يُبْلى بها يهلك ويموت، ففكروا في دواء يحفظ من هذه المضار ويشفي الذين ابتلوا باللسع والعض وشرب السموم، فعملوا الترياق وألفوه... والعلةُ الثانية أنه يُشفي ويُبريء كثيرًا من الأمراض والأوجاع التي تعرض للأبدان"[٢].

ويوجز الطبيب ابن سمجون (ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م) المسيرةَ التاريخية للترياق قائلا: "قدْ اجمع الفلاسفةُ المتقدّمون والحكماءُ أنَّ الترياق لا يعادله شيء من الأدوية، ثم أكثروا من تجربته على طول الدهور في الأبدان المتباينة والأسنان المختلفة والأمراض المهلكة، فوجدوه شفاءً وحرزًا من السموم، وأنه لم يُسْق قطّ منه لديغُ أفعى أو حيوان مُهْلك إلا بدأ ولم يمت... ونحن فقد أكثرنا تجربته في هذه الأمور فرأيناه حقًا لا يخطيء ما ذكروا من فعله"[٣].

الترياق:

معجونٌ مركّب من سبعين مادة ونيف من أصل نباتي وحيواني ومعدني، كان القدماء يعدّونه شافيًا من كلِ أنواع السموم ويحافظ على الصحة ويعالج أمراضًا كثيرة، أما استخدامه الرئيس فهو دواءٌ نافع من لدغ الهوام والحشرات السامة والسموم، وهو ما يمنع ميكانيكيًا امتصاصَ السمِّ من

---

(١) انظر: جورج سارتون: تاريخ العلم. مصر : دار المعارف. ترجمة: إبراهيم بيومي مدكور ورفاقه،١٩٧٠. ٤/٢٥٠.

(٢) انظر: جامع الافتراق والاتفاق لصناعة الترياق، مخطوط بجامعة برنستون ، رقم 565H. ورقة ٦ / أ.

(٣) انظر: السابق، ورقة ٥ / أ.

المعدة والأمعاء . وينطبقُ وصف الترياق بأنه دواءٌ؛ لأنّ الدواءَ بالتعريف: "مادةٌ أو مركّبٌ يُقدَّم على أنه له خواصٌ شافيةٌ أو واقية تجاه الأمراض"(١) .

ويذكر المؤرخ تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) أنّ أُولى مهام الخليفة الفاطمي بُعَيْدَ تنصيبه أن "يسأل عن الدرياق، ويأمرهم بتحصيل أصنافه؛ ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه، ويؤكّد في ذلك تأكيدًا عظيمًا"(٢) .

والترياق لغةً ـ بحسب الطبيب شمس الدين بن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)ـ هو: "دُرْياق: بضمِّ الدال المهملة وسكون الراء المهملة وياء مثناة من تحت وآخره قاف، وقد تبدل داله تاء، ويقال له: الفاروق، ويُلقّب بالهادي، وقد يوصف بالكبير فيُقال: الترياق الكبير؛ لأنه ليس في الترياقات أكبر منه، وبعضهم يخص ذلك بما فيه من لحوم الحيّات، وما كان مجردًا عنها تسمّيه الترياق الصغير"(٣) .

وفي موضع آخر يذكر ما يلي: "وقد قال ابن وهبان ما يخالفه؛ وهو أنه بكسر التاء، قيل: وزنه فِعال بكسر الفاء، وهو رُوميٌّ معرّب ولا يجوز إبدال التاء دالا أو طاء مهملتين لتقارب المخرج، وقيل: مأخوذ من الريق والتاء زائدة، ووزنه تِفْعال بكسرها لما فيه من ريق الحيات، وهذا يقتضي أنْ يكونَ عربيًّا، وهو دواء يتعالج به من السموم وغيرها"(٤) .

جامع الافتراق والاتفاق لصناعة الترياق:

هذه المخطوطة الفريدة تحتوي على (٣٥) بابًا أو فصلاً، وانتهى الطبيب علي بن عبد العظيم الأنصاري من تصنيفها في ١٥ محرم عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م، ولا ندري بالتحديد كَمْ عاش بعدها، كما لا نعلمُ أيَّ تفاصيل عن حياته؛ إذ أغفلته تمامًا كتبُ التراجم والأعلام والطبقات، ويبدو جليًا أنه عاش في بلاد الشام لكونه حَسَنَ الاطّلاعِ على النباتات وأسمائها لهذه المنطقة وما يجاورها، كما كان

---

(١) انظر: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي : مجلة العلوم ، ١٩٩٥ . ٣٢/٣ .

(٢) انظر: تقي الدين المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. بيروت : دار صادر، د.ت. ٤٢٠/١ .

(٣) انظر: رسالة الإشراق لإحكام الترياق، مخطوط بدار الكتب الظاهرية ، رقم ٤٢٥٤٧ . ورقة ١/أ .

(٤) انظر: السابق، ورقة ١٥/أ .

يميل إلى صناعة وتركيب الترياق بنفسه. ولابدَّ أن يكونَ مركِّبَ الترياق عالمًا بقوى الأدوية النباتية وغيرها المستخدمة في التركيب، ومعرفة ماهيّتها وكيفياتها، واختيار جيّدها من رديئها، ومعرفة خواصها وكثرة أجناسها، وعلم أوقات اختيارها من منابتها. وقد جمع الأنصاري بين الطب والفلسفة، ويبدو ذلك جليًا في كتابه "جامع الافتراق"؛ حيث يذكر حنين بن إسحق بأنه قد يَنْتَفعُ من تركيب الترياق فنّان: "الفيلسوف الحريص على عِلْمِ تركيب الأدوية، ثم المتطبّب لأنه يهتدي لتركيب هذا الترياق إلى تركيب الأدوية، وإذا عرف بأيِّ قوةٍ تفعل ذلك قدر له أنْ يداوي ويعالج كما ينبغي"[1].

فوائد الترياق:

اعتبر القدماء أن الترياق يمتاز بخاصيتين :

دوائية: الشفاء من اللسع والعضّ وشرب السموم، كما يشفي ويبريء كثيرًا من الأمراض والأوجاع التي تعرض للأبدان.

وقائية: مَن استعمله قبل وقوع العلّة عليه سَلِمَ من الوقوع في المرض فضلاً عن الخطر.

فالترياقُ باختصار يحفظ صحةَ الإنسانِ ويزيل مرضه، ويخلصه من هلاك الأدوية القتالة وسموم الحيوانات ذات السموم.

ويذكر الأنصاري أنّ الترياق يشفي من (٩١) مرضًا، منها:

عضة الكَلْبِ الكَلِبْ، ولسع العقارب والحيات، واختلاط الذهن، والحمى والصداع المزمن، والسموم المشروبة، والقولنج ، والصرع، والإسهال.

كما يشرح الأنصاري في مقدمة كتابه "جامع الافتراق" سبب إقدامه على تصنيفه:

"أن أهل عصرنا وزماننا قد قلّت عنهم الهمم عن الفحص في أسرار العلوم والحكم، وخصوصًا علم الطب. . . وعدلوا عن إمعانِ الفكر في الغوامض والأسرار وخصوصا عن الترياق. . . فوقع

---

(١) انظر: جامع الافتراق والاتفاق لصناعة الترياق، ورقة ٥ / أ.

فيه الاختلاف، فلم يبق منه إلا الرسم ودثر منه إلا الرسم... وعدل الناس عنه... وأُهمِل على جلالة قدره الترياق الأعظم والفاروق المكرم"[١].

أصل الترياق التاريخي:

تُجْمِعُ المصادر الطبية القديمة بأنَّ الترياق من أصل يوناني، وقد قام بابتداعه وتركيبه الفيلسوف اليوناني أندروماخس القديم العهد، ويَعْتَبِرُ الأنصاري بأنَّ ابتداء ظهوره في زمن أندروماخس إلى وفاة جالينوس في عام (٢٠١م) هو ألفٌ وأربعمائة واثنان وثمانون سنة، فيكون الزمن الذي عاش فيه أندروماخس القديم العهد بحدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهو زمن ظهور الترياق، وليس من المستبعد أن نجد جذورًا للترياق في الحضارات القديمة الأخرى.

ويشرح الأنصاري كيف اهتدى القدماء إلى تركيب الترياق من وجوه عدة، منها: الأحلام والبخت (الحظ)، والاتفاق والفكر العام الموجود في جميع الناس، والإلهام والقياس، وأخيرًا مراقبة الحيوانات في أفعالها، مثل أنَّ أبقراط قد استخرج علم الحقنة من طير في البحر يستكثر من أكل السمك، فإذا تملّى منه وتأذّى به أخذ من ماء البحر في فيه ووضع منقاره في دبره وزجّه في أمعائه، فيستفرغ ما كان أكَلَه. ويسرد الأنصاري رواية مقبولة ـ قائمة على الاتفاق والمصادفة ـ توضّح كيف توصّل أندروماخس إلى اكتشاف فضائل الترياق وتركيبه؛ فبينما كان مسافرًا ببعض الجزر اليونانية فشاهد غلامًا قد لدغه ثعبان، فبادر الغلام إلى شجرة غار وأخذ يأكل من حَبّها، ولما استفسر أندروماخس عن السبب أخبره الغلامُ بأنَّ حَبَّ الغار مضادٌ لسموم الحيوانات، وأنَّ والده يمزجه مع العسل ويسقيه لمَنْ لسعه شيءٌ من الحيوان فيبرأ. والتقط أندروماخس الفكرة وأخذ يطبقها[٢].

ويذكر الأنصاري قائمةً بأسماء الأطباء الفلاسفة اليونانيين الذين تابعوا الترياق وطوّروه، ابتداء من أندروماخس القديم العهد، ثم أيراقليدس ثم أفلاغورس ثم أفرقليس ثم فيثاغورث ثم مارينوس ثم مغينس الحمصي، واستقر الترياق أخيرًا بشكله النهائي بتركيب الطبيب اليوناني المعروف جالينوس.

---

(١) انظر: جامع الافتراق والاتفاق لصناعة الترياق، ورقة ١ / أ.

(٢) انظر: السابق، ورقة ٧ /أ.

والجدير بالذكر أن الترياقَ عَبْرَ رحلته الطويلة قد تعرّض لكثير من الزيادة والتبديل والحذف في أدويته ومقاديرها وأنواعها، فالترياق ابتدأ في عهد أندروماخس بمزج حب الغار مع العسل، وبعد تجربته والتأكد من نجاحه أضاف إليه بعض الجنطيانا، والمر، والقسط، فأصبح يطلق عليه (ترياق الأربع)، ثم أضاف إليه إقليدس بعض العقاقير النباتية، مثل: الزعفران والسليخة والفلفل الأبيض ... وغيرها، وسماه (الترياق الصغير). وهكذا قضى الترياق في رحلته الطويلة لكثيرٍ من الزيادة والتعديل والحذف حتى استقر في نسخته الأخيرة على يد جالينوس.

وللترياق عدة تسميات، منها:

البادزهر: وهي كلمة فارسية بمعنى مقاوم السموم[١]. **والمثروديطوس:** ويختصرون الكلمة - أحياناً - فيقال: (الطوس)، وهو ترياق منسوب إلى اليوناني متريدانوس MTHRIDATE، مَلك PONTUS، الذي كرّس حياته لدراسة السموم، وركّب ترياقاً زعم أنه يُشفي منها، وكان يحتوي على مفردات عددها خمسون، وظل يستعمل من بعده عدة قرون[٢].

ومن ألقاب الترياق: المخلّص الأكبر، والحافظ المفيد للحياة، والمنقذ. يقول الأنصاري:

"المخلص الأكبر والحافظ والمفيد للحياة والمنقذ، وهذه الأسماء كلُّها مترادفة على معنى واحد، وهو الغاية المطلوبة منها، وهي الصحة والسلامة. وقد يختلف الحافظ والمُخلّص أَنْ يُرادَ بالحافظ: ما تقدّم شربه فحفظ البدن بما يرد عليه من نهش الهوام المهلكة وشرب الأدوية القتالة وفساد جوهر الهواء... ويراد بالمُخلّص ما يستعمل بعد وقوع أحد هذه في البدن، فيُخلّص البدن مما وقع فيه"[٣].

أما الترياق الفاروق فهو أكمل الترياقات، وتأثيره أوسع من تأثير مثروديطوس، ويحتوي على أقراص الأفاعي والأفيون، وتعظيمًا لشأنه سُمّي بالفاروق؛ لأنه "يفرّق بين السموم وطبيعة البدن"[٤]. وترياق الأربع يتألف من أربعة أدوية، وذكر مؤرخ الأطباء ابن أبي أصيبعة أنّ أبا مروان بن أبي العلاء

---

(١) انظر: ابن الحشاء: مفيد العلوم ومبيد الهموم، تحقيق: جورج كولان وب رينو. الرباط :مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، ١٩٤٠. ص ١٩.

(٢) انظر: جوزيف جارلند: قصة الطب، ترجمة سعيد عليوه. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٩. ص ٥٥.

(٣) انظر: جامع الافتراق في صناعة الترياق، ورقة ٢/ب.

(٤) انظر: السابق، نفسه.

ابن زهر (ت ٥٥٧هـ) قام بتأليف الترياق السبعيني (ويعني به الترياق الفاروق)، واختصره عشاريًا واختصره سباعيا[١].

ولكن الأنصاري المتأثر بالطب اليوناني لا يتعرض لدور الطب الهندي في هذا المجال؛ فقد نقل العباس بن سعيد الجوهري الترجمان إلى العربية كتابَ "شاناق" للحكيم الهنديCANAKYA، في السموم والترياق حوالي عام (٨٢٥م) في عهد الخليفة المأمون العباسي. ويتمتع الكتاب بأهمية تاريخية؛ إذ يوضح نماذج لحوادث التسمم والتحفظ منها، ومداواتها وطرق دفع مضارها في القرن التاسع الميلادي في بغداد وإيران والهند، وبذا يوضح تطور مفردات الطب وشيوع استعمالها في ذلك العهد وما سبقه[٢].

تصنيع الترياق:

نستطيع أن نُقدّر الصعوبات التي سيلقاها تحضير دواء كالترياق، والذي يتألف بأكثر من سبعين عقارًا. فالمرحلة الأولى من الصعوبات تتمثل في الحصول على هذه العقاقير ومعرفة ذاتيتها وكشف غشها وتدليسها وتحضيرها، ثم يقوم الصيدلي بوزن كلِ عقارٍ على حدة، ويقوم بسحقه ونخله بقطعة من الحرير الناعم، وبعد ذلك يعمد إلى وزن مسحوق كلِ عقارٍ لتحرير ما نقص من وزنه أثناء السحق، وأخيرًا تمزج هذه المساحيق مع بعضها قبل تحويلها لمعجون. وإذا علمنا أن الترياق يضمُ ثلاثةَ أنواع من الأقراص المهيئة سابقًا، وهي: أقراص الأندروخون، وأقراص الأشقيل، وأقراص الأفاعي، وأن هذه الأقراص الثلاثة يحتاج تحضيرُها المعقّد إلى مدة لا تقلُ عن تحضير الترياق نفسه ـ لأمكننا أنْ نتخيّلَ طولَ المدةِ اللازمة للتحضير، وصعوبة العمل واختلاف مواصفات الترياق الناجح[٣].

---

(١) انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا. بيروت : منشورات دار الحياة، ١٩٦٠. ص٥٢٠.

(٢) انظر: سامي خلف حمارنة: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الطب والصيدلة). دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. ص ٢٢١.٢٢٣.

(٣) انظر: محمد زهير البابا: الأقرباذينات. بحث مقدم في الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، جامعة حلب، ١٩٧٧. ص ٦٠٧.

وتتألّفُ مكوناتُ الترياق من أدوية معدنية ـ مثل: الطين والقلقديس ـ ونباتية، وهذه تكون بأشكال ومظاهر مختلفة: أصول، وثمار، وأوراق، وأغصان، وعصارات، وصموغ.

والأدوية اليابسة تسحق كلاًّ على حدة نَعْمًا وتنخل، وتحرر وزنها بعد ذلك.

أمّا العصارات والصموغ فتُنقع بِخَلٍّ حتى تنحل ثم تسحق نَعْمًا، فإذا ماعت وانحلّت أُلقِيت عليها الأدويةُ اليابسةُ، وإذا عسر انحلالُها وُضِعت على نار هادئة في إناء مضاعف، ثم تمزج هذه الأدوية المحلولة بالعسل وتخلط حتى تغلط.

وطريقة تصنيع الترياق يمكن إجمالها على الشكل التالي:

تُدَقّ الأدويةُ اليابسة ويستوفى وزنها مدقوقة منخولة، وتنقع الأصماغُ والعُصَاراتُ في المطبوخ بعد أن ترض وتؤلف بعضها إلى بعض بيسير من العسل، ثم تُسْحق حتى تصير عجينة رطبة، وتؤخذ الأدوية السائلة ـ مثل: القنة والميعة السائلة وصمغ البطم ودهن البلسان ـ وتذاب مع العسل، ثم تُسْحَق الأقراص: الأندروخون، والأشقيل، والأفاعي، وتعجن في العسل، ثم يُصَبُّ عليه باقي العسل، ويسحق الجميع كله بحجارة ملساء في الإناء الذي يعجن فيه حتى يصبح كتلةً متماسكة، ويُرْفع أيامًا في الإناء الذي يعجن فيه، مع مراعاة تغطيته بخرقة خفيفة، ثم يخزن في أوان فضة أو رصاص، ولا يُمْلأ الإناءُ كله بل إلى الثلثين والثلث الآخر يبقى فارغا، ويُسَدُّ رأسُ الإناء من نوع الإناء، ويطبق عليه بماء، وأفضل ما يستعمل الترياق من ستة أشهر إلى عشر سنين مِن زمن تحضيره.

امتحان الترياق:

من الطرق التي لجأ فيها الأطباءُ والصيادلة لمعرفةِ طبائع الأدوية المفردة وقواها الإحراقُ بالنار أو السحق، وكذلك فحص رائحتها ولونها وطعمها. كما قام بعضُهم بتجربة بعض العقاقير على الحيوانات قبل إعطائها للإنسان، كتجربة الزئبق على القرد والتي تنسب إلى الرازي أو ابن سينا[1].

---

(١) انظر: الأقرباذينات، ص٦١١.

ويشرح الأنصاري امتحانَ الترياق نقلاً عن الرازي بتجربته على الحيوانات، كأنْ تُسَلّط أفعى على كلب أو ديك لتنهشه، ثم يطبق الترياق بشكل موضعي موضعَ العضّة أو يُسْقى منه، فإن عاش الحيوانُ فالترياق فعّال، كما ينقل عن جالينوس بتجربته على "قوم قد حُكِم عليهم بالقتل لجُرْم عظيم، فيسقونهم هذا المعجون (الترياق) ثم ينهشونهم الأفاعي"[١]، ويلاحظون التأثيرات الحاصلة على هؤلاء السجناء التعساء. وتبقى الطريقة الشائعة وهي أن يُسْقى أحدهم أدويةً مسهّلة مثل السقمونيا، فإنْ توقّفَ الإسهال دلّ على جودة المادة التي تناولها.

والواقع أن زيادة الطلب على العقاقير ـ وخاصة الهندية المنشأ ـ وقلّة وجودها في الأسواق، أدّى إلى ارتفاع أثمانها بصورة فاحشة، وكان من النتائج المباشرة لذلك انتشار الغشّ والتدليس في الأدوية المفردة والمركبة، وأصبح من المحتم على الصيدلي معرفةُ الطرق المؤدّية لامتحانها[٢].

مفردات الترياق:

١ ـ أقراص الأندروخون:

مؤلّفٌ من: القسط، والأسارون، والأقحوان، والإذخر، وقصب الذريرة... يذكر الأنصاري حوالي (٢٠) عقارًا. يُدقّ الجميع ويُنْخل ويعجن بمطبوخ ريحاني عتيق، ويُتّخذُ أقراصًا بعد مسح اليد بدهن البلسان، ويجفف في الظل.

٢ ـ أقراص العَنْصل:

يُؤْخذ مِن بصل العَنْصل ويوضع في النار، ثم يُسْحَق في الهاون، ويخلط مع الدقيق ويتّخذ منه أقراصا.

٣ ـ أقراص الأفاعي:

تُصَادُ الأفاعي في الوقت الذي ينقضي فيه الربيع، وبعد ذبحِها وسلخها يُطْبَخ لحمُها على حجر، ثم يخلط مع الخبز النقي ويُتّخذ أقراصًا رقيقة، ويُحْفَظ في إناءٍ زجاجٍ أو ذهب.

---

(١) انظر: جامع الافتراق والاتفاق لصناعة الترياق، ورقة ١٢٥/ب.

(٢) انظر: الأقرباذينات، ص٦١٩.

آنية الترياق:

الإناء الذي يحفظ فيه معجونُ الترياق ينبغي أن يكون جافًا مطليًا بدهن البلسان، ويُوضع فيه معجونُ الترياق إلى ثلثيه فقط، ويُغلق إغلاقًا محكمًا ويعلّق ليمنعه من الغبار والصدمات، وفي مكان خال من الرطوبة.

ويعتبر الأنصاري أنَّ أفضلَ أواني الترياق هي:

١-الذهب : لقربِه من الاعتدال، ولا ينحل منه شيءٌ يخالط المعجون.

٢-الفضة الصافية : لأنها قريبة من جوهر الذهب.

٣-الرصاص.

أما الأواني غير المرغوبة فهي:

١. الفضة التي لم تصفى.

٢. النحاس : لأنه قابل للزنجرة (التأكسد) .

٣. الفخار (الخزف) .

٤. الحديد .

٥. الزجاج: لأنه يمنع الترياق من التنفس، فيؤدي إلى سخونته فيعرض فيه العفونة أو الغليان، والتغير في فعاليته الدوائية.

المنهج العلمي في التأليف:

يذكر الأنصاري في الباب الثالث والثلاثين معلوماتٍ هامة وموثّقة عن المصادر الطبية والنباتية التي اعتمدها في تأليف كتابه، ومن بينها حجم الكتاب وأهميته، كما يُورد مقدّمة الكتاب الذي نقل منه. ويتجلّى منهجُه في التلخيصِ والتبويبِ وجمعِ المعلومات المتعلقة بموضوع الترياق، وتنسيق هذه المعطيات العلمية وتوزيعها ضمن أبواب الكتاب، وهو ينسب كلَّ قولٍ إلى قائلة بأمانة تامة بدون تغيير أو تبديل، ويتدخل فقط في التلخيصِ والتبويبِ. وساعده في ذلك اطّلاعه الكامل والوافي على أشهر المصادر ذات العلاقة بموضوع كتابه، مما جعل كتاب "جامع الاتفاق والافتراق لصناعة الترياق"

موسوعة كاملة وشاملة عن الترياق؛ حيث تناوله المؤلف باستفاضة، فهو صورةٌ حيّة عن صناعة الدواء في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، كما أنَّ المعلوماتِ القيّمةَ التي ذكرها المؤلف أضافت إلى رصيدنا المعرفي حول المصادر الطبيّة القديمة، وأوضحتْ لنا بعضَ المعطيات الغامضة والغائبة. يقول الأنصاري ملخصًا طريقته في الاستعانة بهذه المصادر: "وأما الكتب المنتزعة منها هذه المقالة فهي الكتب المشهورة المعتمد عليها والمرجوع إليها في هذا التركيب، وفي ماهيات مفردات هذا التركيب وأحكام ذلك، ومنها أصول وفوائد كبيرة، ومصنفوها هم أئمةُ هذا العِلْم وقد ذكرنا طبقات بعضهم في بابه، وأفردنا هذا الباب بذكر كتبهم لتكونَ كالفهرسة لمَنْ أراد أن يرجعَ إلى الكشف منها عن منقوله في هذه المقالة أو غير ذلك، وقد كان في هذه المقالة أن نجعلَ كلام الفاضل جالينوس أوّلَ كلِّ كلام، ونتلوه بكلام ديسقوريدس فكذلك قد مناها"[١].

المصادر اليونانية المعتمدة لدى الأنصاري:

١. **كتاب الأدوية المقابلة للأدواء، لجالينوس:** يصفه الأنصاري: "كتابٌ جليلُ القَدْرِ كثيرُ النَفْعِ، فيه تراكيبُ حسنة كثيرة، وهو مقالتان: الأولى فيما يتعلق بصنعه الترياق خاصة، والثانية في تراكيب كثيرة كالأقرباذين. ومقدارُ حجم هذا الكتاب بالتقريب ثمان كراريس بقطع ربع الورق البغدادي. ترجمه حنين ابن إسحق" [٢].

٢. **كتاب جالينوس في الترياق:** ويعرفه الأنصاري: "وهو مقالةٌ واحدة كتب بها إلى رجل يقال له: ميموليانس، وكان من الأجلاء"[٣]. ويفيدنا الأنصاري معلومات إضافية عن ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية قائلا: "ذَكَر حنين بن إسحق في الفهرس الذي أثبته مما وجد من كتب جالينوس (والمقصود بها: المقالة في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس وبعض ما لم يترجم، كتبها إلى علي بن يحيى المنجّم)[٤] أنه لم يجد لهذه المقالة إلا نسخةً واحدةً يونانية فيها خطأٌ كبيرٌ فترجمها إلى السرياني،

---

(١) انظر: جامع الافتراق والاتفاق لصناعة الترياق، ورقة ١٥٢/ أ.

(٢) انظر: السابق، نفسه.

(٣) انظر: السابق، نفسه.

(٤) انظر: عيون الأنباء، ص٢٧٢.

ثم إنَّ عيسى بن يحيى تلميذه ترجمها إلى اللسان العربي، وأصلحها عبد الله بن إسحق، المعروف بأبي سهل. ومقدار حجم هذه المقالة تقريبا كراس واحد"[١].

٣ـ **كتاب جالينوس في الأدوية المفردة:** يزودنا الأنصاري بما يلي: "ترجمة حنين بن إسحق، وهو كتابٌ جليلُ القدر عظيم النفع، يشتمل على إحدى عشرة مقالة كلها في قوى الأدوية المفردة. ومقدارُ حجم الكتاب - تقريبًا - يكونُ خمسة وعشرون كراسًا بقطع ربع ورق البغدادي"[٢].

٤ـ **كتاب جالينوس في الترياق الذي كتبه إلى قيصر ملك الروم:** يقول الأنصاري: "وهو كتابٌ جليلُ القدر عظيم النفع في هذا الغرض، يشتمل على فوائد كثيرة، وعلى الترتيب الذي ارتضاه جالينوس في الترياق، ومقدار حجمه ثلاث كراريس قطع البغدادي تقريبا، وهو - أيضًا - ترجمة حنين ابن إسحق"[٣].

٥ ـ **كتاب ديسقوريدس في قوى الأدوية المفردة:** يذكره الأنصاري بأنه "كتابٌ جليلُ القدر عظيم النفع، لم يكن في الأدوية كتابٌ أفضلُ منه، ومصنِّفُه إمامُ هذا الفنِّ وصاحب السَّبْقِ في الكشف عن أسرار المفردات، وتعريف قواها وصفاتها. ومقدارُ حجمه بالتقريب ثلاثون كراسًا"[٤].

٦ـ **كتاب ترجمة حنين بن إسحق:** ولم يحدد الأنصاري عنوانَ الكتاب بالتحديد، أو أية معلوماتٍ أخرى. ومن المعروف أن حنين بن إسحق قد تَرْجمَ كتبًا كثيرة وعديدة من اليونانية إلى العربية، ولكننا نرجِّح أن يكون الكتاب له علاقة بالترياق أو بالأدوية المفردة.

٧ ـ **كتاب يحيى النحوي في الترياق:** وقد ورد بعنوان آخر عند ابن أبي أصيبعة، هو: "جوامع كتاب الترياق لجالينوس"[٥]، وليحيى النحوي لقب آخر هو (فيلوبنيوس) أي: المجتهد، وعاش في القرن السابع الميلادي في مدينة الإسكندرية، وأدرك الفتح الإسلامي لعمرو بن العاص لمصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وهو من جملة السبعة الحكماء المصنّفين للجوامع الستة عشر وغيرها في مدينة

---

(١) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة ١٥٢/ب.

(٢) انظر: السابق ، ورقة ١٥٣/ أ.

(٣) انظر: السابق، نفسه.

(٤) انظر: السابق، نفسه.

(٥) انظر: عيون الأنباء، ص١٢٤ .

الإسكندرية، وله مصنفاتٌ كثيرة في الطب وغيره[١]. ويصف الأنصاري كتابَه بأنه "مشهور - أيضًا - وكثيرُ النفعِ، ومقدار حجمه نحو اثني عشر كراسًا بالتقريب"[٢].

أما المصادر العربية فكثيرة وهامة، وتكشف لنا الكتبَ المعتَمَدةَ في القرن السابع الهجري في مجال الصيدلة والنبات، ومَدى تأثّر وتداخل مدرسة دمشق النباتية التي نفترض بأن الأنصاري آخِر من يمثّلها مع المدرسة الأندلسية في النبات ومدرسة القيروان ومدرسة بغداد، وهي على الترتيب التالي:

١. **كتاب حنين بن إسحق في الترياق:** "وهو - أيضًا - كتابٌ جليلُ القدر عظيمُ النفع، كثيرُ الشهرة عند أهل هذا اللسان، وهو مقالتان. ومقدار حجمه ستة كراريس"[٣].

٢. **كتاب التميمي في الترياق:** وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي (ت ٣٧٠هـ)، من مدينة القدس، ومن الأطباء المشهورين والمتميزين "وله خبرة فاضلة في تركيب المعاجين والأدوية المفردة، واستقصى معرفة أدوية الترياق الكبير الفاروق وتركيبه، وركّب منه شيئًا كثيرًا على أتمِّ ما يكون من حُسْنِ الصنعة، وانتقل إلى الديار المصرية وأقام بها إلى أن تُوفّي"[٤].

والتميمي اهتمَّ كثيرًا بصناعة الترياق، حتى يمكن اعتبارُه مختصًّا فيه، ووصفه المؤرّخُ جمال الدين القفطي: "وكان له غَرامٌ وعنايةٌ ثابتةٌ في تركيب الأدوية، وعنده غوصٌ على أمور هذا النوع واستغراق في طلب غوامضه، وهو الذي أكمل الترياق الفاروق بما زاده وذلك بإجماع الأطباء وله في الترياق عدة تصانيف ما بين كبير ومتوسط وصغير"[٥].

وكتاب التميمي في الترياق الذي استعان به الأنصاري وكان من جملة مصادره، ذكره ابن أبي أصيبعة بعنوان طويل، هو: "رسالة إلى ابنه علي بن محمد في صنعه الترياق الفاروق، والتنبيه على ما يغلط فيه من أدويته، ونعت أشجاره الصحيحة وأوقات جمعها وكيفية عجنه، وذكر منافعه

---

(١) انظر: عيون الأنباء، ص١٥٣.

(٢) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة ١٥٣/ب.

(٣) انظر: السابق، نفسه.

(٤) انظر: عيون الأنباء، ص٥٤٦.

(٥) انظر: جمال الدين أبي الحسن القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء. القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت. ص ٧٤.

وتجربته"[١]. ويصفه الأنصاري: "بسط فيه القولَ في ذكر المفردات، وهو حسن الترتيب عظيم النفع. مقدار حجمه عشرون كراسًا بالتقريب"[٢]. وهذا الكتاب مفقودٌ تمامًا ولم يصلنا، ولم تذكره أيٌّ من فهارس المخطوطات، ولحسن الطالع وصلنا مقتبساتٌ كاملةٌ عن طريق الأنصاري؛ حيث أثبت المقدمةَ وفقراتٍ مطوّلةً منه تمكّنتُ من إعادة تجميعها، فتشكّل لديَّ قسمٌ كبير من محتويات هذا الكتاب المُهمّ الذي يكشف لنا عن الصناعة الدوائية، والعلوم والمعارف النباتية، والأدوية المفردة في القرن الرابع الهجري. للعالم الطبيب أبي عبد الله التميمي، والذي يعتبر أوّلَ طبيبٍ عربيٍ يهتم بالبيئة وكيفية حمايتها، والتحرز من فساد الهواء والغذاء في كتاب مستقل، هو: "مادةُ البقاءِ بإصلاحِ فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء"[٣]، ويقول التميمي في مقدمة كتابه "الترياق"- نقلاً عن الأنصاري -: ". . . أما بعد؛ يا بُني، فإني وجدتُ حكماءَ اليونانيين ومن بعدهم من أفاضل الأطباء المحدثين إلى عصرنا هذا- مجمعين على فضلِ الترياق الأكبر، ومقدّمين له في سائر كتبهم وجميع أدويتهم ومعاجينهم، ومطنبين في فضائله، وحق لما كان مُنْقذ النفوس من العطب وشافيًا لها من عظيم الوصب أن يقرّظَ بكلِ لسان، ويفرط وصفُه بكلِ مكان، ويدّخره كلُ إنسان لموضع فاقته إليه، وفقره إلى نفعه عند شرب السموم المتلفة ونهش الحيوانات المهلكة. ولما كانت الملوك العظماء وسائر الكبراء والمراتب العالية والأفراد السامية من أكْثرِ الناسِ منافسًا وحاسدًا، وأعداؤهم من ألطف الأعداءِ حيلاً ومكائدًا، كانوا إلى ادخاره دون غيرهم أحوج، وباقتنائه أشدَّ كَلَفًا وألهج، ولم أرَ واحدًا من ملوك الشرق إلى عصرنا- غير السادة الأبرار والأئمة الأطهار الذين بالمغرب من ولد الرسول ﷺ - إلا مُغفلاً لذكره"[٤].

٣ -**كتاب علي بن يوسف التنوخي**: ويصفه الأنصاري بقوله: "وهو من المتأخرين من أهل عصرِنا، وهو كتابٌ كثير المنافع في علم النبات، والعقار المختص بهذا المعجون وتركيبه حسن

---

(١) انظر: عيون الأنباء، ص ٥٤٨.

(٢) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة ١٥٣/أ.

(٣) انظر: عيون الأنباء، ص٥٤٨.

(٤) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة ١٥٥/أ.

فاضل. ومقدار حجمه عشرون كراسا"[١]، وعنوان الكتاب هو "الكتاب الأشرف في صنعة الترياق المنقذ للنفوس الشريفة من التلف". ولكنَّ الأنصاريَّ وقع في خطأٍ واضحٍ حينما نسب هذا الكتاب إلى الجَدّ: رشيد الدين بن الصوري (ت ٦٣٩هـ/١٢٤١م)، بينما هو لحفيده علي بن يوسف التنوخي (ت بعد ٦٥٦هـ). ويبدو ذلك واضحا وجليًا من مقدمة الكتاب "الأشرف" الذي أثبته الأنصاري، وهو: "قالَ العبدُ الفقيُر إلى الله تعالى عليُّ بن يوسف بن عبد الله التنوخي المقدسي سبط الحكيم العالم رشيد الدين أبي على منصور بن أبي الفضل بن على الصوري، وتلميذه في عالم النبات والعقار والأشجار والأدوية والمعاجين الكبار"[٢].

ومِن خلال هذا النص الهام يُصرّح التنوخي بأنه سبطُ وتلميذُ ابن الصوري، وتعريف السبط هو: ولد الابن والابنة[٣]، ولكنَّ الأنصاريَّ خلط بين الجَدّ والحفيد؛ ربما لأنَّ التنوخي كان يلازم ويُساعدُ أستاذَه وجَدَّه ابن الصوري ويتحدث عن أعماله كثيرًا في كتابه "الأشرف"، ويذكر مواقفه وآرائه النباتية والطبية، وقد كان طبيبًا لخاصة الملوك الأيوبيين.

وقد تَتَبَّعْتُ الفقرات التي نقلها الأنصاريُّ من كتاب "الأشرف"، فتبيّن لي استحالةُ أن يكونَ ابن الصوري والتنوخي شخصًا واحدًا؛ فالتنوخي يذكر بأنه شاهد مادة (الطين المختوم) عند الحكيم رشيد الدولة بن الفارس في دمشق سنة (٦٤٦هـ)[٤]، وفي موضع آخر بلغه أنّ نبات القسط قد ورد منه إلى دمشق سنة (٦٥٣هـ) شيءٌ صالحٌ[٥]، مما يدل على أن الكتاب "الأشرف" قد دُوّن بعد هذا التاريخ، وابن الصوري الذي نُسب إليه الأنصاري الكتاب قد تُوفِّي - كما ذكرنا- (٦٣٩هـ/١٢٤١م).

---

(١) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة ١٥٥/أ.

(٢) انظر: السابق، ورقة ١٥٦/أ.

(٣) انظر: لسان العرب، مادة (سبط).

(٤) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة ٥٨/أ.

(٥) انظر: السابق، ورقة ٨٨/أ.

والواقع أنَّ إغفال المصادر القديمة لذكر التنوخي قد أدّى لهذا الخلط والالتباس حول شخصيته، وبالتالي لم نستطع تحديدَ تاريخ وفاته بدقة، وافترضنا أنه بعد (٦٥٦هـ)، أي بعد الانتهاء من تدوين كتابه "الأشرف".

٤-**كتاب الجامع، للعشّاب عبد الله بن البيطار**: والمقصود به الكتاب المشهور "جامع مفردات الأدوية والأغذية"، للعالم النباتي الشهير عبد الله بن البيطار (ت ٦٤٦هـ). يقول عنه الأنصاري: "ذَكَرَ فيه علْمَ النباتِ والعقار والأدوية المفردة بأحسن ترتيبٍ وعبارة، وإيضاح وتقريب. وهو كتابٌ جَليلُ القَدْرِ عظيم، وصاحبه قد اجتمع المتأخّرون على فضله في علم الأدوية المفردة. ومقدار حجم الكتاب أربعُ مجلدات، وكلُّ مجلدٍ خمسة وعشرين كرّاسًا تقريبًا، وأخذنا منه ما كان يتعلق بغرضنا في هذه المقالة"[1].

٥- **كتاب الرئيس ابن سينا، المعروف بـ "القانون"**: وهو معروفٌ ومشهورٌ، قرّظه الأنصاري: "كتابٌ جليل لا يكاد يحوي فضله ولا فضل مصنّفه مدحٌ، نقلنا منه ما يتعلق بغرضنا في هذه المقالة من أقرباذينه وكتاب أدويته المفردة وغير ذلك. ومقدارُ حَجْمِه ستُّ مجلدات، كلُّ مجلدٍ نحو خمسة وعشرين كراسًا"[2]. ومن الواضح أن الأنصاري استعان بالكتاب الثاني من "القانون في الطب"، وهو مخصص للأدوية المفردة.

٦- **كتاب الزهراوي**: والمقصود به - طبعًا - الكتاب الشهير **"التصريف لمَنْ عجز عن التأليف"** الذي صنّفه أبو القاسم الزهراوي، وفرغ من تأليفه في آخر عقد من القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي)، وهو موسوعةٌ طبّيةٌ عربية مِنْ أهمِّ وأَرْوعِ ما كُتب في تاريخ العلوم الطبية العربية والإسلامية، ويتألّفُ من ثلاثين مقالة؛ تبحث في الطب النظري والعملي والمعالجة والأدوية المفردة والمركبة والجراحة. ولا يُحدّد الأنصاري أيّ من مقالات الكتاب استعان بها في تصنيف كتابه

---

(١) انظر: جامع الافتراق والاتفاق ، ورقة ١٢٥/أ .

(٢) انظر: السابق، ورقة ١٥٣/أ .

"جامع الافتراق"، ويكتفي بالقول: "كتابٌ جليلُ القَدْرِ، يحتوي على أسرارٍ وأعمالٍ شريفة في هذه المقالة. ومقدار حجمه نحو عشر مجلدات، كل مجلد عشرين كراسًا"[١].

ونُذكّر بأنَّ المقالةَ الرابعةَ من كتاب "التصريف" مخصصة للترياقات، وبخاصة الترياق الفاروق الكبير، والأدوية المفردة المضادة لمختلف أنواع السموم وفعلها في البدن.

٧ – **كتاب ابن وافد في الأدوية المفردة:** وهو الوزير أبو المطرّف عبد الرحمن بن وافد (ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م)، جمع فيه بين كتابيْ: ديسقوريدس وجالينوس.

٨–**كتاب الأدوية المفردة، للغافقي:** وهو العالم النباتي والطبيب أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي (ت٥٦٠هـ/ ١٢٦٤م)، وكتابه "الأدوية المفردة" جمع فيه أقوالَ القدماءِ والمحدثين في الأدوية المفردة.

٩ – **كتاب لابن جميع الإسرائيلي:** وهو أبو العشائر هبة الله بن زين بن جميع (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)، ولكنَّ الأنصاري لا يُصرّح باسم الكتاب الذي استفاد منه ويكتفي بالقول: "كتابٌ لابن جميع الإسرائيلي؛ أربعُ مقالات، نقلنا من الرابعة ما يتعلق بغرضنا. وهو مجلدين، مقدارُ كلِ مجلدٍ عشرين كراسا"[٢].

ومن الواضح أن الكتاب المقصود هو "الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد"[٣]، وهو من أربع مقالات وقد نقل الأنصاري من المقالة الرابعة،كما قام ـ أيضاً ـ بتلخيص "مقالة في أصناف الراوند"[٤] التي ألّفها ابن جميع لأحد أصحابه عند إقامته في الإسكندرية، ووضعها تحت مادة (الروانـد)[٥].

١٠ – **كتاب مسائل حنين بن إسحق:** وهو من أشهر كتب حنين بن إسحق، وقد بناه على طريقة السؤال والجواب، والكتاب يُعدُّ من مقدّمات الطبِ ومدخلا ضروريًا للمتعلم؛ بما يحويه من

---

(١) انظر: السابق، نفسه.

(٢) انظر:عيون الأنباء، ص ٥٧٩.

(٣) انظر: السابق، نفسه.

(٤) انظر: جامع الاتفاق والافتراق، ورقة ٩٠/أ.ب.

(٥) انظر: أحمد الدبيان: حنين بن إسحق (دراسة تاريخية ولغوية). مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.١/١١٧.

معلومات حول الأمراض وأسبابها، وهو مُكوَّنٌ من ثمانية فصول، يبحثُ الفصلُ السادس في الأدوية المفردة والمركّبة[١].

ومن الواضح أنَّ الأنصاري استعان بالفصل السادس؛ لأنه يقول: "أخذنا منه ما يتعلق بالكلام في الترياق، وهو مقدار عشر كراريس"[٢].

١١- شرح كتاب المسائل، لابن أبي صادق: وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي صادق النيسابوري[٣]، من تلامذة ابن سينا، ومن أطباء القرن الخامس الهجري، وقد قام بشرح كتاب "المسائل في الطب" لحنين بن إسحق، وكان مِن جملة مصادر الأنصاري الذي يقول فيه:"مقدارُ حجمه ثلاثين كراسًا، أخذنا منه ما يتعلّق بغرضنا"[٤].

١٢- كتاب الأبدال، لابن الجزار: وهو أبو جعفر بن الجزار القيرواني (ت ٣٦٩هـ/٩٨٠م)، وكتابه "رسالة في أبدال الأدوية"[٥]، وكان من مصادر الأنصاري كما ذَكَر[٦].

١٣- الأبدال من الحاوي: والمقصود به الجزء العشرون والجزء الحادي والعشرون من كتاب "الحاوي في الطب" لأبي بكر الرازي (ت ٣١٣هـ)، والجزءان مخصّصَان للأدوية المفردة.

١٤- كتاب الملكي: وهو الكتاب المعروف بـ"كامل الصناعة الطبية"، تأليف: علي بن العباس المجوسي، من أطباء القَرْنِ الرابع الهجري. وقد استعان الأنصاري بالجزء الثاني من الكتاب، المقالة العاشرة المؤلفة من ثلاثين بابًا. وقد جاء الباب الرابع بعنوان: في عمل المعجونات وفي عمل الترياق المعروف بالفاروق، والباب الخامس: في صفة منافع الترياق وعلل منافعه وامتحانه، والباب السادس: في مقدار ما يُسقى الترياق وغيره من المعجونات والأدوية ، والباب السابع: في صفة ترياق الأربعة وسائر المعجونات. والأنصاري لا يحدّد بالضبط الفصولَ أو الأبوابَ التي استعان بها من كتاب "كامل

---

(١) انظر: جامع الاتفاق والافتراق، ورقة ١٥٣/أ.
(٢) انظر: عيون الأنباء، ص٤٦١.
(٣) انظر: جامع الاتفاق والافتراق، ورقة ١٥٣/أ.
(٤) انظر: عيون الأنباء، ص٤٨٢.
(٥) انظر: جامع الاتفاق والافتراق، ورقة ١٥٣/أ.
(٦) انظر: السابق، نفسه.

الصناعة الطبية"، ولكنه يصرّح بالقول: "والكتاب مشهور شريف مقداره، أربعُ مجلّداتٍ،كلُّ مجلّدٍ نحو خمسة وعشرين كراسًا "[١].

١٥ – **أقرباذين سابور:** وهو سابور بن سهل (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، له تصانيف كثيرة، منها "الأقرباذين الكبير" المشهور، جعله سبعةَ عشر بابًا، وهو الذي كان المعمول به في بيمارستان (جندي سابور) ودكاكين الصيدلة[٢]. ويصفه الأنصاري: "كتاب مشهور، مقدارُ حجمِه نحو خمسة عشر كراسًا"[٣].

١٦ – **أقرباذين أمين الدولة ابن التلميذ:** وهو موفّق الملك أمين الدولة بن التلميذ (ت٥٦٠هـ)، كان رئيسَ الأطبّاءِ في البيمارستان العضدي ببغداد إلى حين وفاته[٤]، وكتابه "الأقرباذين" يحتوي على عشرين بابا، وقد حل مكانَ أقرباذين سابور بعد ظهوره[٥] ويصفه الأنصاري: "كتابٌ قريبُ المآخذ، سهل المتناوَل، حَسَنٌ مشهورٌ، نقلنا منه ما يتعلق بغرضنا. ومقدار حجمه نحو اثنا عشر كراسا بالتقريب"[٦].

١٧ – **مجرّبات أبي العلاء بن زهر:** وهو أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٢٥هـ/ ١١٣١م)[٧]، وكتابه "الفوائد المجربات في خواص المعدن والنبات والحيوانات" كان آخرَ مَصادرِ الأنصاري الذي يذكر: "نقلنا منه نسخةً له في الترياق اختارها"[٨].

الأدوية المفردة في مخطوط "جامع الافتراق":

ذكر الأنصاري البابَ الرابع عشر من المخطوط بعنوان: "في الكلام على كلِّ واحدٍ من أدويته المفردة وماهيته، ومزاجه وطعمه، ورائحته وقوته وفعله، ومنفعته وشكله وموضعه، واختباره

---

(١) انظر: عيون الأنباء، ص٢٣٠.

(٢) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة١٥٩/أ.

(٣) انظر: عيون الأنباء، ص٣٤٩.

(٤) انظر: السابق، ص٢٣٠.

(٥) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة١٥٩/أ.

(٦) انظر: عيون الأنباء، ص٥١٩.

(٧) انظر: السابق، نفسه.

(٨) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة١٥٣/أ.

ووقت اختياره وأخذه"[١]، وهذا الفصل من أهمِّ فصولِ المخطوط؛ لأنه يحتوي على (٧٤) نوعًا من الأدوية المفردة مختلفة المصادر؛ ما بين نباتية وحيوانية ومعدنية، جمع عنها كل ما كُتِب أو قيل من المصادر المذكورة سابقًا، فأصبح لدينا مُعْجمًا طبيًّا نباتيًّا شاملاً لم يُسْبق أحدٌ إليه، ابتدأه بكلام جالينوس وديسقوريدس، وتبعه بكلِّ العلماء الأطباء العرب المار ذكرهم. وقد جهد الأنصاري أن يستقصي كل شيء كُتِب عن الأدوية المفردة للترياق وفوائده الطبية، وبَدَلِه في حال فقدانه، وكيفية التعامل مع هذا الدواء وتحضيره، واستخلاص المادة الأولية الفعالة منه، والخلاف والغلط الواقع في التمييز بين مختلف الأدوية المفردة الداخلة في تركيب الترياق، ومقدار الجرعة المناسبة من الترياق لكل مرض على حدة. كذلك لم يهمل الزمان المناسب من أوقات السنة وفصولها الذي يمكن فيه صناعة الترياق وشروط المكان الذي يتم فيه التصنيع، والآنية التي يركب فيها، وكيفية عجن مكوناته المختلفة مع بعضها وخلطها وتخميرها، والوزن المطلوب لكلِّ واحدٍ من مفرداته على حدة، وأخيرًا مناقشة فلسفية للمشككين في فعالية الترياق الطبية، وفي الختام لم يُهْمِل ذكرَ المصادر التي اعتمد عليها بشكل مفصّل.

ومما يُحْمد للأنصاري أمانتُه العلمية؛ فهو ينسب كلَّ قولٍ أو شاهدٍ لقائله دون تغيير، مع تسجيل رأيه الخاص إذا لزم الأمر.

وبالنسبة لفهرس الأدوية المفردة فهو على الشكل التالي:

حرف الألف: أذخر - أنيسون - أسارون - أفيون - اصطوخودوس - الأقحوان - أقاقيا.

حرف الباء: بزر اللفت البري - بلسان - دهن البلسان - بنطافلن.

حرف الجيم: جأوشير - جنطيانا - جندبيدستر - الجعدة.

حرف الدال: دار صيني - دار شيشعان - دار فلفل - دوقو.

حرف الهاء: هوفا - لحية التيس - هيوفارقتون.

حرف الواو: وج.

---

(١) انظر: جامع الافتراق والاتفاق، ورقة٣٢/ب.

حرف الزاي: زيت - زنجبيل - الزعفران - زراوند .

حرف الحاء: الحرف البابلي - حماما .

حرف الطاء: الطين المختوم.

حرف الياء: لا شيء .

حرف الكاف: كمافتطوس - كمادريوس - كندر - كرسنة.

حرف اللام: لا شيء .

حرف الميم: مالانبرن - مو - ميعة - ملح - مصطكي - مر - مريافلون - مسطراطيوس - المخلصة.

حرف النون: نانخواة.

حرف السين: ساذج - ساساليوس - سبت - سوسن - السكبينج - السليخة - سنبل رومي.

حرف العين: عنصل - عسل.

حرف الفاء: الفو - الفودنج النهري - الفلفل - فراسيون - فطر ساليون.

حرف الصاد: صمغ البطم - صمغ عربي.

حرف القاف: قلقديس - قلفت - قلقطار - القنة - القار والقير - قنطريون - قسط - بحري - قريطانا .

حرف الراء: رواند - رازيانج.

حرف الشين: لا شيء .

حرف الثاء: لا شيء .

حرف الخاء: خبز.

حرف الذال المعجمة: لا شيء .

حرف الغين: غار.

وتساءل إلى أي حد كان مؤلف الترياق الأنصاري مجددا أم مقلدا؟ أي هل أضاف إضافات منهجية معجمية إلى مفردات الترياق من الأدوية المفردة، وإلى تصنيع الترياق أم كان مجرد ناقل وجامع لما جاء قبله؟ أم كان دوره مقتصرًا على التبويب والترتيب مع سعة اطلاع كبيرة واسعة؟

خاتمة:

كان عليُّ بن عبد العظيم الأنصاري ذا ثقافة موسوعيّة شاملة، ولعلَّ أهمَّ ميزةٍ تُسجَّل له في تاريخ الطب والصيدلة العربية هو تصنيفه لموسوعته الهامة "جامع الافتراق والاتفاق لصناعة الترياق"، وفي مستوى التأليف كانت هذه الموسوعةُ من أشملِ وأكملِ ما كُتب عن الترياق من الناحية الطبية العلاجية، ومن المُؤسف أن تغفله المصادرُ والمراجعُ ولا تتحدّثُ عنه، ولكنّه ترك لنا أثرًا خالدًا في المكتبة الطبيّة العربية، وحَفظَ لنا معلومات قيمةً وموثّقةً عن المصادر الطبية والنباتية حتّى القرن السابع الهجري، يسّرتْ لنا منافذَ وطُرقَ جديدةً للبحثِ والتاريخِ.